

عالمية الخطاب القرآني

م . م . حنان صبحي سلمان *

ملخص البحث

يتسم الخطاب القرآني بالعالمية ، إذ يخاطب الناس كافة بغض النظر عن جنسهم ولونهم ومذهبهم وعرقهم، ولم يقتصر الخطاب القرآني على المسلمين فقط ، بل جاء الخطاب ليشمل غير المسلمين أيضاً، حيث إنه ساوى بين الناس جميعاً في أصل الخلق ، فكل الناس خلقوا من ذكر وأنثى بلا تمييز بينهم ، فالقرآن الكريم هو كتاب عالمي تتوع في خطابه فخاطب الرسل والأنبياء وخاطب المشركين وأهل الكتاب كذلك خاطب المؤمنين والكفار، والأنس والجن . ومازالت آياته تخاطب البشرية منذ أربعة عشر قرناً ، تدعو الى تحقيق التعايش بين الناس ، وتوطيد روابط الاخوة والمساواة والحفاظ على الكرامة الانسانية . فعالمية الخطاب القرآني ضرورة من ضرورات الدين ودليل على التشريع الصالح لكل زمان ومكان. ويهدف البحث الى تسليط الضوء على عالمية الخطاب القرآني وبيان أدلة عالميته وبيان أن الدين الإسلامي دين عالمي يشمل كل جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية . ويحاول البحث الإجابة على مجموعة من الاسئلة منها ما المقصود بالعالمية ؟ ماهي الأدلة التي تثبت أن الخطاب القرآني خطاب عالمي ؟ وقد استخدمنا في بحثنا منهج التفسير الموضوعي من خلال الاستقصاء والاستقراء للمادة القرآنية واللغوية الخاصة بالموضوع ، وجمع الآيات القرآنية ونقلها مشكولة على رواية حفص من المكتبة الشاملة . أما هيكلية البحث فهي عبارة عن مبحثين تناول الأول: ماهية الخطاب القرآني ، أما المبحث الثاني فقد تناول المصطلحات التي تدل على العالمية وقد توصلنا في بحثنا إلى أن رسالة الأسلام عالمية شاملة لم تأت لقرن أو لجيل أو لقوم معين وإنما جاءت للناس كافة، فهو دين عالمي لم يختص بالعرب فقط ولا بالعجم فقط بل هو للبشرية جمعاء، وقد استعمل القرآن الكريم مجموعة من المصطلحات لإيصال خطابه الى الناس كافة .

* تدريسية في جامعة الموصل / كلية العلوم الاسلامية / قسم العقيدة والفكر الاسلامي

Abstract

The Quranic discourse is characterized by internationality as it addresses people no matter the gender, color, faith and race they belong to. It is not addressed only to Muslims but also to non-Muslims. It does not differentiate between people from creation principle. Men and women are all created without depending on bias. The Holy Quran is universal in that its discourse addressed to prophets, messengers, polytheists, Christians and Jews, believers and non-believers, and human beings and Jinns. Its verses keep addressing humanity for fourteen centuries until now, call for maintaining co-existence between people, emphasizing the bounds of brotherhood, equality, maintaining human beings dignity. Universality of Quranic discourse is one of the most important necessities of religion and a proof of the good legislations the Holy Quran has for every time and place

.The research highlights the universality of the Holy Quran and proofs on that by showing how it implies all aspects of life: social, economic, political, and educational.

The study tries to answer many questions such as : what is universality? What are the proofs that shows the universality of the Quranic discourse?

The researcher, in her study, uses objective interpretation by making use of investigation and examination of relevant qur'anic and linguistic materials, collecting corpus from the Quran verses written with vocalized letters as they are in Hafs reading from Al-Shamela library. For the framework of the research, it consists of two parts: the first one refers to the definition of qur'anic discourse and in its turn is subdivided into three parts: the definition of universality, the definition of discourse, and characteristics of qur'anic discourse. As for second part, it studies the terminology that refers to universality through four parts : people, the whole, nation, and humanity . The most important findings the researcher concludes is that the message Islam conveys is universal and comprehensive. In addition, it is not addressed to certain century, generation, or people but it is a message for all no matter the time or place and the Quran uses many terms to convey the message to all people through discourse

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فإن الله قد منّ على المسلمين بنعمة كبرى هي نعمة القرآن الكريم الذي أنزله على رسوله ليخرج الناس من الظلمات الى النور (الكتاب أنزلناه إليك لنُخرجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (ابراهيم: ١). أنزله بأرفع أسلوب وأجمع معنى فهو تشريع خالد ثابت لا يتغير (إِنَّا نَحْنُ نُزِّلُ الْكِتَابَ وَإِنَّا لَمُحَافِظُونَ) (الحجر: ٩) ، وحدد معنى الدين ، وهو إخلاص العبادة لله وحده خضوعا وانقيادا ، والاعتراف بجميع الرسل والأنبياء (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) (الشورى: ١٣) وإعلان الاسلام دينا عالميا للإنسانية جمعاء ، وقدرته على العطاء في كل العصور والأزمنة ولا يزال القرآن الكريم هو مفتاح الخروج من الأزمات ، فقد نظم للإنسان أسلوب العمل ووضع قوانين قيام المجتمعات والأمم.

إن الله تعالى جعل الإسلام دينا عالميا للبشرية ، إذ كفل فيه لغير المسلمين الحرية الدينية والحياة الحرة الكريمة ، وفرض على الجميع أن يتعايشوا مع بعضهم البعض ، وأمر بالقيم والمبادئ التي تسعد البشرية بهذا الدين العالمي في الدنيا والآخرة . فالله هو رب العالمين ، والدين الإسلامي هو للعالمين ، جاء لينقذ البشر من عبودية للبشر الى عبادة رب البشر . وقد اكدت آيات القرآن الكريم على العالمية ، وأن الله هو رب العالمين (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الفاحة: ١) ، وأن القرآن هو كتاب نور وهداية للعالمين (وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْزَعَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (يونس: ٣٧) .

لقد اتصفت رسالة الإسلام العظيمة بمجموعة من الخصائص والصفات منها شمولية خطابها للناس جميعا دون نظر للون أو جنس أو عرق ، وعدم اقتصرها على المسلمين فقط ، واستواء جميع

الناس في أصل الخلق، فكل الناس خلقوا من ذكر وانثى بلا تمييز بينهم . وقد زعم أعداء الاسلام أن القرآن الكريم كتاب تاريخي ، اختص أو خاطب جماعة محددة في عصر محدد ثم انتهت صلاحيته بعد ذلك ، ولم يبق له أي تأثير . ولكن كل الآيات القرآنية وكل الدلائل تشير الى أن القرآن الكريم هو كتاب خالد خاطب الله به جميع البشر الى يوم القيامة ، وهو كتاب موجه للإنس والجن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

أهمية البحث

تكمُن أهمية هذا البحث في أن القرآن كتاب عالمي دعا الى تحقيق التعايش بين الناس ، وتوطيد روابط الأخوة والمساواة ، والحرية الدينية والحفاظ على الكرامة الانسانية ، فعالمية الخطاب القرآني ضرورة من ضرورات الدين ودليل على التشريع الصالح لكل زمان ومكان ، وهذا ما ساعد على وصول وانتشار الإسلام في كل بقاع الأرض .

هدف البحث

يهدف البحث الى تسليط الضوء على عالمية الخطاب القرآني وبيان أدلة عالميته حتى يتمكن المسلمون من الوقوف عليها ومحاولة ايصالها للآخرين وتبصرتهم بها في سبيل تغيير الصورة المشوهة التي أخذها الآخرون عن الإسلام وبيان أن الدين الإسلامي هو دين عالمي يواكب الحضارة والتقدم ويسعى إلى الرقي والازدهار .

إشكالية البحث

تتمثل اشكالية البحث في الإجابة على مجموعة من التساؤلات : ما المقصود بالعالمية ؟

ما الذي يستند إليه تعريف الخطاب القرآني بأنه خطاب عالمي ؟

هل هناك آية من آيات القرآن أو حكمة من حكمه أو قانونا من قوانينه ينفع لإقليم دون آخر، أو لأمة دون أخرى. أو لشعب دون آخر ؟

مصادر البحث

كان لابد لنا في كتابة هذا البحث من الرجوع الى جملة من الدراسات السابقة والتي ساهمت في بناء وتأصيل بحثنا هذا منها التفاسير القديمة وخاصة تفسير الطبري والرازي والزمخشري وابن كثير ... ،

وإلى جانب القدامى تفاسير المحدثين كتفسير المنار وتفسير التحرير والتنوير والتفسير المنير للزحيلي ، إضافة إلى كتب متون الحديث كصحيح البخاري وسنن الترمذي، وأيضا كان لابد لنا من الرجوع الى كتب المعاجم القرآنية كالمفردات للراغب الأصفهاني والمعاجم اللغوية مثل لسان العرب لابن منظور ومعجم مقاييس اللغة ، واستخدمنا مجموعة من الكتب والدراسات المعاصرة التي اغنت موضوع بحثنا .

منهجية البحث

سنتبع في بحثنا هذا خطوات منهجية منها : جمع الآيات القرآنية ونقلها مشكولة على رواية حفص من المكتبة الشاملة تجنباً للخطأ في كتاب الله ، الاستقصاء والاستقراء للمادة القرآنية واللغوية الخاصة بالموضوع ، استخدام منهج التفسير الموضوعي .

خطة البحث

تتبلور خطة البحث عن تمهيد ومبحثين ولكل مبحث عدة مطالب مع مقدمة وخاتمة .
المبحث الأول بعنوان : ماهية الخطاب القرآني وفيه ثلاثة مطالب : المطلب الأول : تعريف العالمية لغة واصطلاحاً ، المطلب الثاني : تعريف الخطاب لغة واصطلاحاً ، المطلب الثالث : خصائص الخطاب القرآني . أما المبحث الثاني فقد تناول المصطلحات التي تدل على العالمية من خلال أربعة مطالب : المطلب الأول : الناس ، المطلب الثاني : العالمين ، المطلب الثالث : الأمة ، المطلب الرابع : بني آدم ، وفي نهاية البحث كان لابد من خاتمة تذكر أهم النتائج التي توصلنا إليها في البحث .

التمهيد

إن القرآن العظيم هو الكتاب الذي خاطب الله تعالى به جميع البشر الى يوم القيامة ، وهو المعجزة الخالدة ، والحجة البالغة ، كلام تحدى به الله سبحانه وتعالى العرب قديماً وحديثاً (قُلْ لِّئِنْ أَجْمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) (الاسراء : ٨٨) . وهو كتاب يصلح لكل زمان ومكان ، ولكل نوع وجنس ، خاطب الله به تعالى الأنس والجن بما يحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة .

فالقرآن الكريم يخاطب الإنسان في كل بقعة من بقاع الأرض دون أن يلغي شخصيته أو خصوصيته ، وهو كتاب عالمي جاء ليهدي العالمين وينقذ البشرية جمعاء من دروب الفساد والطغيان الى نور الحق والايمان .وهو يخاطب الناس جميعا بصيغة العموم ، خاطب الأنبياء والرسول ، وخاطب المؤمنين والكفار ، خاطب المشركين وأهل الكتاب ، تنوع في خطابه حسب حال المخاطبين . فأيات القرآن الكريم تخاطب البشرية منذ أربعة عشر قرنا ومازالت آياته على مر القرون تبهر المصلحين والحكماء بما فيها من قيم وأفكار وأسس لإصلاح البشرية .

(ان المتلقي للقرآن الكريم هو الإنسان ، بغض النظر عن عرقه أو جنسه أو ثقافته أو انتمائه ، وقد خاطبه القرآن ، على امتداد صفحاته ، وجعله مركز الاهتمام ، وموضع العناية ، وهذا المتلقي النوعي مهما اختلف يؤول الى مشترك جامع هو مناط الخطاب القرآني).^(١)

فالخطاب القرآني هو خطاب مرسل الى الناس جميعا من رب العالمين وأن حامل هذا الخطاب هو الرسول صلى الله عليه وسلم . (فهذا الخطاب مخترق حدود الزمان والمكان والبيئة :ومن ثم يحتاج فهم مضمونه الى اعتبار متطلبات المستقبل وحاجاته ، وذلك من خلال بنية اللغة التي يتلقى بها ذلك المضمون ، لاسيما إذا كان هذا الخطاب يتبع في تأليفه نظاما محكما) .^(٢)

فالقران الكريم رسالة الله إلى الإنسانية كافة تواترت في ذلك نصوص متواترة في الكتاب والسنة ، (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) (الفرقان: ١) .

وفي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (والناس بنو آدم ، وخلق الله آدم من تراب)^(٣) ، تأكيد وبيان أن البشر كلهم من أصل واحد وهو آدم . والقران جاء وافيا بجميع مطالب الحياة الإنسانية على الأسس الأولى للأديان السماوية: (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) (الشورى: ١٣) . لقد كرم الله سبحانه وتعالى الإنسان روحا وجسدا وعقلا وكلفه بمهمات جليلة على هذه الأرض ، من إعمارها وإقامة الحضارة فيها وهذا ما ذكره القرآن الكريم وبينه من خلال آياته الكريمة . (فالقران الكريم اهتم بالإنسان ، وأهتم بما فيه من طاقات وقدرات وقابليات تهيئه لأن يكون خليفة الله على هذه

الأرض).^(٤) فالإنسان الذي خاطبه الله تعالى هو كل إنسان موجود على هذه الأرض (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) (النكوير : ٢٧) . (ومن شمول القرآن أنه لا يخاطب العقل وحده ، ولا القلب وحده ، بل يخاطب الكيان ويحرك القلوب ، في وقت واحد) .^(٥)

والإنسان بدوره يؤمن بالقرآن ويدين بعقله ووجدانه إلى إقرار مالم يراه ، وما لا تدركه الاسماع والأبصار ، ويوقن بأن الإنسانية ومنذ أن خلق الله آدم والى قيام الساعة يعبدون ربا واحدا ولهم نسب واحد . فالقرآن الكريم عندما يخاطب الإنسان بغض النظر عن لونه وجنسه ، عربي أم أعجمي فإنه يخاطبهم بما يشتركون فيه من إنسانية ، فيفهمه كل متلق وسماع لأنه يتأسس على رؤية شاملة دقيقة للخصائص التي يشترك فيها كل إنسان . (فالعالمية إذن تعد من أبرز سمات الخطاب القرآني ، التي تتدرج في إطارها مستويات الخطاب الأخرى ، مما يجعل من السمو الى العالمية غاية ، تشترك فيها مستويات خطاب القرآن ، بوصفها أثارا قيمية في حقيقتها ، تقويمية في أثرها ، حضارية في ثمرتها ، ما يجعلنا أمام مستويات يتلمس فيها البعد القيمي العالمي) .^(٦)

(إن الأسلوب القرآني الذي عرف كيف يخاطب عرب القرن السابع عشر الميلادي ، وبهزمهم حتى الأعماق ، وهو في الوقت ذاته قادر على إحداث الهزة نفسها لدى قارئيه في القرن العشرين والقرن الخامس والعشرين ، فقد تمتلك قصيدة ما أو قطعة أدبية أو فنية هذه القدرة على التأثير بغض النظر عن المرحلة الزمنية ، ولكن هذا لا يعدو أن يكون تأثيرا جماليا صرفا يختلف عن كونه موقوتا أما التأثير القرآني فإنه يختلف تماما . إنه يهز الافئدة حتى البكاء يقتلعها من الجذور ثم يعيد تركيبها من جديد فاذا بأصحابها شخوص جديدة بالكلية وكأنها بعثت على غير ما كانت عليه) .^(٧)

والخطاب القرآني ، يؤسس خطابه على مضامين واعدة ، واستدلال وقضايا مركزية ثابتة ، وهو يتوجه بخطابه الى الناس ، لأن حديث القرآن الكريم مع الناس ، لا يفرق بين ذكرهم وأنثاهم . وهذا الخطاب العام يؤطر مشروع القرآن الكريم ، وهو مخاطبة الإنسان بكليات صالحة لجميع الناس ، كونها تستقي مصداقيتها من واقعيتها وكونيتها وفاعليتها .^(٨)

المبحث الأول :**ماهية عالمية الخطاب القرآني**

في البدء لابد لنا من التعرف على أهم المصطلحات الموجودة في البحث لذلك سيتم تقسيم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب : الأول : تعريف العالمية لغة واصطلاحاً ، والثاني : تعريف الخطاب لغة واصطلاحاً ، والثالث : خصائص الخطاب القرآني .

المطلب الأول :**تعريف العالمية لغة واصطلاحاً**

أولاً : العالمية لغة :

عَلَّمَ : العين واللام والميم أصل صحيح واحد ، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره بالإنسان... وقال قوم : العالم سمي لاجتماعه والاجتماع (فَتَطَّعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام: ٤٥).^(٩)

ويقول ابن منظور : علم : من صفات الله عز وجل العليم والعالم والعلام ، قال الله عز وجل : وهو الخلاق العليم . وقال الزجاج : معنى العالمين كل ما خلق الله ، كما قال : وهو رب كل شيء ، وهو جمع عالم ، وقال : ولا واحد لعالم من لفظه لأن عالماً جمع أشياء مختلفة . وقيل جمع العالم الخلق العوالم .^(١٠)

والعالمية مردها إلى لفظة (العالم) ، فالعالم جمعها عوالم ، وقد ورد لفظ العالم في الخطاب القرآني بصيغة (العالمين) ثلاثاً وسبعين مرة منها قوله (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: ١٠٧) وقوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الفاحة: ٢) .

وأيضاً ورد فيها لفظ (الإنسان) في مخاطبة جنس الإنسان (٦٢) مرة وتكرر (يا أيها الناس) حوالي ٢٠ مرة وعدد آخر من الآيات كان النداء فيها بقوله (يا بني آدم) في إشارة واضحة لعموم الخطاب القرآني للناس جميعاً. فعالمية الإسلام في اللغة تعني الشمولية والعموم بعيداً عن الخصوصية

والحصر، فحينما نقول أنّ هذا الخبر أو الأمر عالمي فهذا يعني أنّه يتعلّق بالعالم ككلّ بما فيه من اختلافاتٍ وتنوّع .

ثانيا : العالمية اصطلاحا

العالمية تعني التفتح على العالم وكل ما هو كوني ، والأخذ والعطاء من الثقافات الأخرى ، وتقر التنوع والتمايز والمنافسة والتكامل .^(١١)
والعالمية في المصطلح تعني الانفتاح على العالم والاحتكاك بشكل كبير بالثقافات المختلفة على مستوى العالم .

فعالمية الإسلام تعني أن رسالة الإسلام وشريعته قد جاءت للعالمين من الأنس والجن . وهذا يعني أنه خطاب هذه الرسالة قد جاء للناس كافة ، وأن أحكام شريعة الإسلام متجددة مع تغيرات وتطورات العصر . وعالمية القرآن الكريم تعني أن القرآن هو الهادي للبشرية والمنقذ لها من أي فساد أو إذلال أو انحراف عن القيم الصحيحة . وتعني أن دعوته ومنذ أكثر من أربعة عشر قرنا مازالت تنتشر وتتسع في كل بقاع الأرض ، وأن هذا الخطاب هدفه إخراج الإنسان من الظلام الى النور ، ومن الضلال الى الهداية . فالقرآن الكريم يخاطب الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ويدعو الناس إلى التوحيد والحق والعدل ونبذ الكفر والفساد ، ويستوعب كل حقائق الحياة وتطور المجتمعات الإنسانية .

المطلب الثاني :

تعريف الخطاب لغة واصطلاحا

أولا : الخطاب لغة :

خَطَبَ :الخطبُ : الشأن أو الأمر ،صَغُرَ أو عَظُمَ وقيل ؛هو سبب الأمر . يقال : ما خطبك ، أي ما أمرك ؟وتقول هذا خطب جليل ، وخطب يسير .

والخطب : الأمر الذي تقع فيه المخاطبة ، والشأن والحال ، ومنه قولهم : جل الخطبُ أي عظم الأمر والشأن ... والخطاب والمخاطبة : مراجعة الكلام ، وقد خاطبه بالكلام مخاطبا وخطابا وهما يتخاطبان.^(١٢)

وقيل : خَطَبَ : الخاء والطاء والباء أصلان : أحدهما الكلام بين اثنين ، يقال خاطبه يخاطبه خطابا ، والخطبة من ذلك .^(١٣)

والخطاب لفظ قرآني ورد بصيغة المصدر في ثلاث آيات وهي قوله تعالى :
(وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ) (ص : ٢٠) ، وقوله تعالى : (رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا) (النبا : ٣٧) ، وقوله : (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ) (ص : ٢٣) .

يقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى (فصل الخطاب) إلى ن فصل الخطاب الذي آتاه الله تعالى على داود عليه السلام هو البين من الكلام وهو الحكم الفاصل الذي يفصل بين الصحيح والفاقد ، والحق والباطل ، والصواب والخطأ .^(١٤)

ثانيا : الخطاب اصطلاحا :

يستعمل لفظ الخطاب اصطلاحا بمعان شتى تختلف لطبيعة الموضوع الذي ينصب عليه الخطاب فهناك الخطاب التاريخي الذي يستبدل عن التوصية والارشاد المباشرين بالتعبير عن حوادث التاريخ ومساره . وهناك الخطاب الديني سواء كان مقدسا أم دنيويا ، إلهيا أم إنسانيا ، وحيا أم الهاما نقلا أم عقلا ، وقد يكون خطابا عقائديا كما هو الحال في علم الكلام ، أو باطنيا كما هو الحال في التصوف ، أو تشريعيًا كما هو الحال في أصول الفقه

وهناك الخطاب الفلسفي وهو تطوير للخطاب الديني ووارث له ، ينزع منه الجانب العقائدي القطعي النقلي ويحيله الى خطاب عقلي برهاني ، وتطابق الحوار والرأي الآخر . وهناك الخطاب الأخلاقي وهو قراءة للخطاب الديني والفلسفي في الحد الأدنى الذي يتفق عليه الناس جميعا ، فيختزل العقائد والنظريات الى مجرد سلوك فاضل ، ومعاملة حسنة . والخطاب القانوني أيضا مصطلح آخر وهو اختزال للخطاب الديني والفلسفي والأخلاقي إلى مجموعة من الأوامر والنواهي :^(١٥)

المطلب الثالث :

خصائص الخطاب القرآني

أولاً : دعوة الناس للتحرر والتوحيد :

إن من أول الأمور الجامعة لكل إنسان والتي أشار إليها القرآن الكريم هي الدعوة الى توحيد الله عز وجل كما ورد في قوله تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ) (الذاريات : ٥٦) وهي الوظيفة التي اجتمع عندها كل انسان . فمطلب التوحيد وعبادة الله تعالى هو على رأس المطالب القرآنية وتحت هذا المطلب تتدرج بقية المطالب وتتفرع عنه مطالب الشرع . فالعبادة هي الخضوع والتذلل والانقياد لله تعالى بدافع الحب والانقياد الطوعي وليس التقليد والغلبة . ولو تأملنا قول الله تعالى في سورة الأنعام في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ) (الأنعام : ٧٦) ، وجدنا فيه إشارة واضحة إلى ارتباط العبادة بهذا البعد الوجداني ، والعلاقة بين العبد وربّه .

(والخطاب القرآني لا يقتصر على الجانب العاطفي ، بل يدعو إلى النظر في بدائع الوجود ، من خلال دليل العناية ، ودليل الاختراع ، وذلك حتى تكون النتيجة التي يصل إليها الفكر والتأمل ، على وفاق النتيجة التي يصل إليها القلب والمشاعر ، فيلتقي الاقتناع والحب ، فتتولد العبادة التي أمر الله تعالى ، وهي عبادة مبنية على التعقل في ممارسة العبادة ، والحب للمعبود جل جلاله) .^(١٦)

إن رسالة الإسلام وهي الرسالة الخاتمة لبقية الرسالات قد شملت الناس جميعا في خطابها فهي عالمية في وجهتها ومنهجها هو التوحيد ، وقد كان الناس كلهم عليه ، قبل أن يختلفوا ويتفرقوا (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا يَنْهَاهُ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (البقرة : ٢١٣) ، فهذه الآية تشير إلى مجموعة من القضايا العامة المتصلة بالعالمية ، فهي تؤكد انتظام الناس في عالمية فطرية جامعها

التوحيد ، وتوصف آثار عالمية الخطاب القرآني بكونها تقويمية تجميعية ، لأنها جاءت لتصحيح ما اختلف الناس عليه من الحق ، ولإعادتهم امة واحدة ، بإعادتهم عن اختلافهم ، بإقرار وحدة منهج الحق والخطاب ، ممثلة بالقرآن وحده .^(١٧)

أما قضية التحرير التي دعا إليها القرآن الكريم في خطابه فإننا نجد الكثير من الآيات القرآنية تشير إلى هذا التحرير ، وتدعو إلى تحرير الإنسان من نفسه وأهوائه وشهوته ، وتحريره من أي سلطان على النفوس والأفراد ، وتحريره من الإنسان وجبروته وطغيانه ، (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْكِتَابُ وَالْحُكْمُ وَالنُّبُوَّةُ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابُ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ) (ال عمران : ٧٩) . ومن المعالم الرئيسية للخطاب القرآني إعلاؤه لقيمة العقل ، ودعوته إلى تحرير الإنسان من الخرافات وكل ما يمنعه من الوصول إلى الحقيقة ، وضرورة أن يكون عقله يقظا ، مدركا لما حوله ، (قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) (الانعام : ٥٠) (وَحَاجَتُهُ قَوْمَهُ قَالَ أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) (الانعام : ٨٠) ، (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (البقرة : ٤٤) . فالخطاب القرآني يحرر الإنسان من كل ذلك بحيث لا يبقى له شيء يعتز به إلا عبوديته لله تعالى . (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة : ٢١) ، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا .

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَتِهِ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (النساء ١٧٤ - ١٧٥) ، (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (الاعراف : ١٥٨) ، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَخَشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلَاٌ دُ هُوَ جَارٍ عَنْ

وَاللَّهُ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ (لقمان: ٣٣) . فالله سبحانه وتعالى هو مصدر الهدى الوحيد في الكون ، فلا تجتمع الربوبية والالوهية الا الله وحده . وبهذا نجد أن القرآن الكريم يحرر الانسان من أي سلطان عليه ، وقد قضى الرسول صلى الله عليه وسلم سنوات طويلة وهو يرسخ جذور هذا التحرير في قلوب الناس . فالقرآن الكريم يدعو كل مخاطب إلى أن يهتدي بهديه ، ويتحول إلى إنسان حر كريم في نفسه ، عبد خالص لله سبحانه وتعالى . وقد ادرك المسلمون الاوائل هذا الشيء حين كانوا يشعرون انهم حرار ولا يقبلون أن يكونوا عبيدا لأحد سوى الله . ومن الأدلة على ذلك قول عمر بن الخطاب المأثور : (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا) .

ثانيا : دعوة الناس إلى الوحدة والمساواة :

إن من المبادئ التي دعا إليها القرآن الكريم في آياته مبدأ الوحدة الإنسانية ، وأن الناس جميعا مهما كان اختلافهم يرجعون الى أصل واحد ، فالبشرية قائمة على أخوة الاصل الواحد ، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً . وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ مَرْقِيًّا) (النساء: ١) .

جاء الخطاب بيا أيها الناس ليشمل جميع الذين يسمعون القرآن في ذلك الزمن والأزمان التي تليها فضمير الخطاب في قوله (خلقكم) يعود الى الناس المخاطبين بالقرآن ، وليس فقط المؤمنين - إذ غير المؤمنين حينئذ هم كفار العرب - الذين تلقوا دعوة الإسلام قبل جميع البشر وامروا بتبليغ الدعوة لبقية الأمم ، فكان ما بعد النداء جامعا لما يؤمر به الناس بين مؤمن وكافر ، نودي جميع الناس ، فدعاهم الله الى التذكر بأن أصلهم واحد (اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) دَعْوَةٌ تَظْهَرُ فِيهَا الْمُنَاسَبَةُ بَيْنَ وَحْدَةِ النَّوعِ وَوَحْدَةِ الْإِعْتِقَادِ (١٨) .

لذلك فقد وضع القرآن الكريم قاعدة ربانية في معاملة المسلمين لغيرهم من الناس (لَا يَتَّبِعُكُمُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُتَّسِقِينَ) (المسحنة: ٨) . ومن مظاهر الوحدة التي دعا إليها الإسلام والقرآن نجد أن التعاليم والتوجيهات والشعائر التعبدية كلها مبنية على ركن مهم هو وحدة العقيدة والافكار . فالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره هي دعوة واضحة إلى الوحدة الإنسانية (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (البقرة: ١٧٧) . كذلك من مظاهر الوحدة هي وحدة العبادة ، فالمسلم عندما يؤدي الفرائض التي أمر بها الله تعالى من صلاة وزكاة وصيام وحج فيها مظهر من مظاهر الاتحاد والتآلف وغرس مفهوم الوحدة بين المسلمين . وعندما يقف المسلمون جميعا في صلاة الجماعة وينتظمون خلف إمام واحد ، ويؤدون الصلاة طاعة لله سبحانه وتعالى دليل كبير على الوحدة (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) (الانبياء: ٩٢) ، (وَإِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) (المؤمنون: ٥٢) ، (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (ال عمران: ١٠٣) . والقرآن الكريم دعا جميع الانبياء الى التآلف والجماعة ونهاهم عن الافتراق (وَيَضِيقُ صُدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ) (الشعراء: ١٣)

ويقول تعالى (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) (الشورى: ١٣) فالمقصود من الآية شرع لكم من الدين دينا تطابقت الانبياء على صحته ، يقول الرازي : يجب أن يكون المراد من هذا الدين الأمور التي لا تختلف باختلاف الشرائع كالإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر .^(١٩) والإسلام جاء

ليقرر وحدة الجنس البشري ، فنظام المساواة بين عباد الله وخالقه هو من مقتضى عدله وحكمته في خلقه ، ونصوص القرآن شاهدة وناطقة بتقرير المساواة . فالبشر جميعا متساوون في أصل منشأهم فقد خلقهم الله تعالى من تراب ، حتى الرسل والأنبياء لا فرق بينهم وبين بقية البشر (إِنْ مَثَلٌ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (ال عمران : ٥٩) وحتى النبي صلى الله عليه وسلم يقول تعالى فيه (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف : ١١٠) . فالإسلام إنساني في مساواته ، فهو يدعو إلى أن تمحى الفوارق وتزال العصبية ، وتذاب الطبقات ، فهو دين شامل لجميع البشر ، ويعتبر الفكر والعقيدة هو الرابط الأول الذي يربط الناس ويسوي بينهم^(٢٠).

وقد قرر الإسلام المساواة في كل أحكامه ، في التراحم والتعاطف بين الأفراد ، وفي العبادات كما في الصلاة حين يقف الناس جنبا إلى جنب في مكان واحد يسجدون لرب واحد ، والصوم والزكاة والحج كل الناس في شكل واحد ، والمساواة مقررة أيضا في الحكم والقانون وفي المعاملة فالمؤمنون جميعا أخوة^(٢١) . والناس متساوون في طبيعتهم الإنسانية ، والتفاضل بينهم لا يقع في أصل النشأة والتكوين ، وإنما يقع فيما قدمه من أعمال صالحة وبما قام به من خيرات ومنفعة لنفسه ولبنى جنسه فأسعد الإنسانية بما قدم ، ويمكن للإنسان أن يتبع القيم والمعاني التي جاءت من آيات القرآن الكريم وأن يتصرف تصرف الإنسان الحر الواعي بمسؤوليته والذي يسير في حياته وفقا لذلك ، وأن المساواة لن تتحقق إلا إذا أحس الناس جميعا أنهم لآدم وآدم من تراب ، فيحل السلام وتتطهر النفوس ونطمئن القلوب .

ثالثا : دعوته للحق والعدل :

الإنسان وبحكم فطرته يتعطش للعدل والحق ويشتاق اليهما ويكره الظلم والطغيان ، ويسعى إلى القضاء عليهما ورفع الأغلال عن الإنسان . فقضية العدل مرتبطة بكيان الإنسان فهي إذن قضية عالمية وقيمة كبرى جعل الإسلام له مكانة في تشريعاته ، وجاءت آيات القرآن الكريم تحض على العدل وتأمر به . ويرى ابن قيم الجوزية كما يرى غيره من العلماء : (أن الله أرسل رسوله ، وأنزل

كتبه ، ليقوم الناس بالقسط ، وهو العدل الذي قامت به الأرض والسموات ، فإذا ظهرت أمارات العدل وأسفر وجهه بأي طريق كان ، فثم شرع الله ودينه .(٢٢)

لقد خلقت أحكام القرآن الكريم في المجتمع الجاهلي ثورة ، لم يسبق لها أي تشريع سابق. فالقرآن الكريم دعا إلى العدل مع الخالق تعالى؛ بالإيمان به ، وعبادته ، واتباع أوامره واجتتاب نواهيه. وبذلك يكون الإنسان المسلم عادلاً مع الله عز وجل، ومن ذلك قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ لَقْمَانُ لِبَنِيهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (لقمان: ١٣)، وبذلك يكون عادلاً مع نفسه بهدايتها إلى الطريق المستقيم وهو طريق الجنة يقول تعالى : (وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) (يس: ٦١) .

والعدل أول صفات الله التي يقوم بها على خلقه ، قال تعالى : (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (ال عمران: ١٨) . إن العدل قيمة من القيم القرآنية المهمة وخصيصة يستمد موجباته من عقيدة التوحيد ، فالمسلم لا يكتمل إيمانه إلا بامتثاله العدل مع نفسه ومع من هو معهم فالله يدعو إلى القسط ويأمر به (قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ) (الاعراف: ٢٩) ، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ) (النساء: ١٣٥) كان مفهوم العدل السائد في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي مرتبطاً بالقبائل والعائلات والأشخاص الأقوياء ، وهم من كانوا يحددون موازين العدل ومعايير الحق التي تكون في النهاية لمصلحتهم. ولما جاء الإسلام قام العدل من منظور قرآني على نقد هذه المعايير والكشف عن عوراتها واللاعادلة التي تنتجها ومن ثم سعى إلى تغييرها أو على الأقل التخفيف منها .(٢٣)

إن قيمة العدل التي اطلقها القرآن الكريم ذات بعد إنساني عميق قائم على المساواة بين الناس باعتبار وحدة أصلهم قال تعالى : (وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَوْعٍ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ) (الانعام: ٩٨) ، (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ) (المؤمنون: ١٢) . ومن أعظم الدلائل على العدل في الإسلام العظيم أن امرأة مخزومية شريفة سرقَتْ في عهد النبي صلى الله

عليه وسلم، فأراد أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه أن يشفعَ فيها، فعَضِبَ النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: « أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ! إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الغني تركوه، وإذا سرق فيهم الوضيع أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ». (٢٤)

إنَّ مقامَ العدلِ في الإسلامِ عظيم ، وثوابه عند الله جزيل ؛ فالعدلُ مستجابُ الدعوة، والله يحبُّ المقسطين، وصاحبُ العدل في ظلِّ الرحمن يومَ القيامة، والحاكم مأمور بالعدل (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ) [النساء: ٥٨]. ليس الحاكم فقط مأمور بالعدل فإنه أيضا يجب على الوالد أن يعدل بين أولاده في العطايا والمعاملة؛ والمساواة بين كلِّ الأولاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "اتقوا الله واعدوا بين أولادكم". (٢٥)، كما يجب على الزوج أن يعدل بين أزواجه، وأن يساوي بينهما في المبيت والنفقة والحقوق الزوجية، قال تعالى : (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) [النساء: ٣]، والعدل مطلوبٌ حتى في القول والكلام، قال سبحانه : (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا) [الأنعام: ١٥٢]. ومن جانب آخر، فقد حرم القرآن الكريم قتل الإنسان لنفسه لما في ذلك من ظلم وبشاعة في حق النفس: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُوًّا غَدًّا وَإِنْ ظَلَمْتُمْ فَسَوْفَ نُنْصِيهِ فَاَرَأَوْا كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) (النساء: ٢٩- ٣٠) ، وجعل الله تعالى للمرأة نصيبا في الإرث يتماشى وفق ميزان "القوامة بنسب متناهية في الدقة والحكمة، وذلك في قوله تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُم لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ) (النساء: ١١). وفي ذلك عدل ورحمة من الله جل في علاه إزاء المرأة المسلمة. إن الله سبحانه وتعالى يجازي عباده الصالحين في الدنيا على صلاحهم وتقواهم قبل مجازاتهم في الآخرة؛ بإنصافهم، والتمكين لهم في الأرض. ومثال ذلك ما ورد في سورة يوسف عليه السلام وكيف كابد الظلم والافتراء بأن رماه إخوته في البئر، وباعوه بثمن بخس من أجل إبعاده عن

أبيهم ، وكيف أن الله أكرمه فجعله عزيز مصر وجعل له التمكين في الأرض: (وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) (يوسف: ٢٢). كذلك يعاقب الظالم في الدنيا قبل الآخرة ومثال ذلك عقابه لفرعون بأن طمس ملكه وأغرقه ، وأنجى بدنه حتى يكون عبرة للعالمين قال تعالى: (وجاوزنا بني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فالיום ننحيك بيدك لنكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) (يونس: ٩٠-٩٢). وهذا العدل الرباني كما يكون في الدنيا فإنه يكون في الحياة الآخورية، فالله تعالى لن يحاسب الإنسان إلا بما عمل في دنياه، دون جور أو تعسف: (ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (الحج: ١٠). وهذا العدل الرباني الذي سيمر منه كل إنسان يوم القيامة هو عدل في أعلى وأسمى معانيه يقول تعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) (الأنبياء: ٤٧). ويقول: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء: ٤٠). وهكذا نجد أن العدل في القرآن الكريم هو عدل كامل ومطلق، يسمو ويعلو على الجميع، ليس فيه أي نقص أو زلة، ولا يحده زمان ولا في مكان.

المبحث الثاني :

مصطلحات تدل على العالمية

وظف القرآن الكريم مجموعة من المصطلحات استثمرها لإيصال خطابه إلى الإنسانية كافة ،وقد مثلت هذه المصطلحات نسيجاً مترابطاً ، ووحدة يحكمها نسق مقاصدي ، وافق إنساني رحب، ولبيان وتوضيح هذه المصطلحات سيتم تقسيم هذا المبحث إلى أربعة مطالب كل مطلب يتناول مصطلحا من هذه المصطلحات ، الناس والعالمية والأمة وبني آدم .

المطلب الاول :

الناس

لو استقرأنا آيات القرآن الكريم نجد أنه من أعم الألفاظ وأكثرها استعمالاً فيه ، لفظ (الناس) فقد خاطب الله تعالى الناس عامة في أكثر من موضع في القرآن ، وهو لفظ عام يشتمل على الأنس والجن كما يطلق ويراد به أيضاً من وجد فيه معنى الإنسانية ، إي إنسان كان ، وهو اسم جمع لا مفرد له من لفظه ومفرده إنسان.^(٢٦)

والناس قد يذكر ويراد به الفضلاء دون من يتناوله اسم الناس تجوزاً، وذلك إذا اعتبر معنى الإنسانية، وهو وجود العقل، والذكر، وسائر الأخلاق الحميدة، والمعاني المختصة به، فإن كل شيء عدم فعله المختص به لا يكاد يستحق اسمه كاليد، فإنها إذا عدت فعلها الخاص بها فإطلاق اليد عليها كإطلاقها على يد السرير ورجله، فقله: (آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ) (البقرة: ١٣) أي: كما يفعل من وجد فيه معنى الإنسانية، ولم يقصد بالإنسان عينا واحدا بل قصد المعنى، وكذا قوله: (أَمْرِيحْسُدُونَ النَّاسَ) (النساء: ٥٤) أي: من وجد فيه معنى الإنسانية أي إنسان كان، وربما قصد به النوع كما هو.^(٢٧) وورود خطاب الناس في القرآن المكي المؤسس للدعوة الإسلامية الدال على أن خطاب الشريعة موجه الى عموم الناس ابتداءً، وأن المجتمع المكي كان العينة التي انطلق منها.^(٢٨)

وتركيز الخطاب القرآني على هذا اللفظ واختياره على غيره من الألفاظ ، يدل على قيمته وغنائه في الدلالة على البعد الإنساني في الإنسان ، وعلى القيم التي يحملها هذا الانسان ، والتي جاء القرآن الكريم ليزكيها ويبعثها .^(٢٩) إن خطاب الناس في القرآن تقوم مضامينه على خصائص يشترك فيها كل إنسان ، فعندما يخاطب القرآن العربي والعجمي ، فهو يخاطبهم بالمشترك الجامع ، لذلك يفهمه الجميع لأنه يخاطب أصل الإنسانية في كل إنسان ، إن مجموع الخطابات التي خاطب الله تعالى (الناس) عامة تقع في عشرين موضعاً إلا خمسة ، أربعة منها هي خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم لدعوة الناس إلى عبادة الله واتباعه وهي :

قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً (الاعراف: ١٥٨) .

وقوله تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (يونس: ١٠٤) .

وقوله تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَخُذُوا زِينَتَكُمْ لِكُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلِّ مَأْكَلٍ وَكُلِّ مَسْكَنٍ أَنْ تَذْهَبَ فِيهِمْ وَأَنْ يَسْأَلُوا عَنْكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَا تَعْبُدُونَ) (يونس: ١٠٨) .

وقوله تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنْ أَدَّبُكُمْ وَأَنَا أَسْوَاقٌ كَالَّذِينَ سَفَعُوا فِي الْأَرْضِ مُخَوِّفِينَ إِلَّا خَشْيَةَ اللَّهِ فَإِذَا هُوَ خَافُوا لَا يَنْفَعُهُمْ إِذَا فَجَّرَهُ النَّاسُ سِحَرًا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ هُوَ) (الحج: ٤٩) .

والخطاب الخامس هو في سياق كلام النبي سليمان عليه السلام في قوله تعالى: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عِلْمُنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْثِقْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنْ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ) (النمل: ١٦) . أما عدا هذه المواضع فهي خطاب الله سبحانه وتعالى إلى الناس كافة منها قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: ٢١) هذه الآية سبقتها عشرون آية كان الحديث فيها عن موقف الناس من رسالة الوحي ، بين مؤمن مصدق ، ومعارض منكر ، ومتذبذب بينهما ، وبعد أن خاطب الله كل قسم منها بما يلائمه جمعها في قسم واحد كبير ، وناداهما من صعيد واحد. (اسْتَنْفَأَ ابْتِدَآئِيَّ فِرْعَوْنُ بِهٖ الْعِنَانَ إِلَىٰ مَوْعِظَةٍ كُلِّ فَرِيقٍ مِنَ الْفِرْقِ الْأَرْبَعِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا مَوْعِظَةٌ تَلِيقُ بِحَالِهِ بَعْدَ أَنْ قَضَىٰ حَقَّ وَصْفِ كُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ بِحَالِهِ، وَمِثْلَتْ حَالُ كُلِّ فَرِيقٍ وَضُرِبَتْ لَهُ أَمْثَالُهُ فَإِنَّهُ لَمَّا اسْتَوْفَىٰ أَحْوَالَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَضْدَادِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ لَا جَرَمَ تَهَيَّأَ الْمَقَامُ لِخِطَابِ عُمُومِهِمْ بِمَا يَنْفَعُهُمْ إِرْشَادًا لَهُمْ وَرَحْمَةً بِهِمْ لِأَنَّهُ لَا يَرْضَىٰ لَهُمُ الضَّلَالُ وَلَمْ كُنْ مَا ذَكَرَ أَنْفَاءً مِنْ سُوءِ صُنْعِهِمْ حَائِلًا دُونَ إِعَادَةِ إِرْشَادِهِمْ وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِمْ بِالْخِطَابِ فَفِيهِ تَأْنِيْسٌ لِأَنْفُسِهِمْ بَعْدَ أَنْ هَدَّوْهُمْ وَلَامَهُمْ وَذَمَّ صُنْعَهُمْ) (٣٠) .

يقول تعالى مخاطبا الناس: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِنْ ثَمَرِ الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (البقرة: ١٦٨) ، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا

زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً. وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ مَرْقِيًّا) (النساء: ١) .

(إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا) (النساء: ١٣٣) .
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) (النساء: ١٧٠) .
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا) (النساء: ١٧٤) .

(دعوة مفتوحة لكل الناس أن يتفكروا في هذه الحقائق ، ويتعرفوا إلى هذه الظواهر ، وهذا الخطاب العام صالح لأن يخاطب به في مقامات تواصلية متعددة ، لأن مضمونه قضية ثابتة محورية تتغير مظاهرها ، ولا تتبدل حقائقها) .^(٣١) ولننظر في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات: ١٣) يقول ابن كثير: فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية الى آدم وحواء سواء ، ولكن التفاضل يكون في الأمور الدينية ، بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا نبه الله تعالى الناس بتساويهم في البشرية ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ أي: ليحصل التعارف بينهم ، كل يرجع الى قبيلته) .^(٣٢)

(فهذا تجريد لمقام تواصلية عام ، يوجه فيه الخطاب منسابا منتقلا بين الأزمنة والأمكنة ، ينادي الناس كلهم ، ويخبرهم بواقع لا ينكرونه ، وهو خلق الناس أزواجا وجعلهم شعوبا وقبائل ، هذا واقع مشاهد محسوس وأمر لا يعتريه الشك، والقرآن لا يذكره ليفيدهم بذلك معرفة زائدة على ما عندهم ولكن يذكره ليؤسس عليه أمرا آخر ، وهو بيان المقصد من هذا والحكمة الموجبة لهذا التنوع في الخلق والتعارف بين الناس) .^(٣٣) آيات كثيرة خاطبت البشرية جمعاء ومازالت تخاطبهم منذ أربعة عشر قرنا تحمل في مجملها توجهها أنسانيا عالميا صالحا لكل زمان ومكان .

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

(يونس: ٢٣) .

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ)

(يونس: ٥٧) .

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَآخِشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) (لقمان: ٣٣) .

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) (فاطر: ٥) .

خاطب القرآن الكريم الناس جميعا ولم يقتصر في خطابه على الأنبياء ولا على أهل الكتاب والمؤمنين فحسب ، بل وجه خطابه للإنسانية جمعاء بغض النظر عن لونه وجنسه ، واهتم بانقاذ الإنسان من الظلام والفساد. فالخطاب القرآني يتوجه بشكل مباشر إلى الإنسان في كينونته الكاملة عقلا ونفسا ووجدانا وعاطفة . فالقرآن الكريم ليس تجميعا لنصوص محفوظة وإنما هو جمع آيات التحمت عبر لحظات متدافعة في مواقع متجددة وبأغراض توجيهية معلومة وإذا ما انقضت المناسبات والملابسات بقيت هذه الآيات تحتفظ بكامل فعاليتها التوجيهية النافذة عبر الزمان والمكان بالنسبة لكل موقف إنساني اجتماعيا أو تاريخيا يحتوي على عناصر الموقف الأساس الذي كان سببا في النزول.^(٣٤)

المطلب الثاني :

العالمين

لم تأت كلمة (العالمين) في أي نص قبل الإسلام سواء أكان شعرا أو نثرا ، فهي كلمة غير معروفة عند العرب ، ولكنها وردت لأول مرة في القرآن الكريم ، لذلك اجتهد الصحابة والتابعون والمفسرون

عالمية الخطاب القرآني
م . م . حنان صبحي سلمان

في استخراج وفهم معناها من خلال القرآن الكريم . وفي هذا قال الإمام الفخر الرازي في تفسيره عند تناوله لقوله تعالى: (الحمد لله رب العالمين)، (أنها ما سوى الله تعالى، فكل ما في الكون هو من العالمين، ثم إن "العالمين" عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى). (٣٥)

وقال الطبري في تفسيره : (والعالمون جمع عالم، والعالم: جمع لا واحد له من لفظه، كالأنام والرهط والجيش، ونحو ذلك من الأسماء التي هي موضوعات على جماع لا واحد له من لفظه. والعالم اسم لأصناف الأمم، وكل صنف منها عالم، وأهل كل قرن من كل صنف منها عالم ذلك القرن وذلك الزمان. فالإنس عالم، وكل أهل زمان منهم عالم ذلك الزمان. والجن عالم، وكذلك سائر أجناس الخلق، كل جنس منها عالم زمانه. ولذلك جمع ف قيل: عالمون، وواحد جمع، لكون عالم كل زمان من ذلك عالم ذلك الزمان). (٣٦)

فإنه تعالى هو رب العالمين وهذا ما أكدته آيات القرآن الكريم ، وأن القرآن الكريم هو كتاب للعالمين ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْشَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس: ٣٧) ، وأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو رسول الله للعالمين (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: ١٠٧) ، والكعبة هي قبلة الله للعالمين (إِنْ أَوَّلَيْتَ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) (آل عمران: ٩٦) . إن الخطاب القرآني هو خطاب معجز متحد يستوعب الإنسان والمواقف التي يمر بها واقع هذا الإنسان بل يتجاوز ذلك كله ، فهو خطاب موجه من الله تعالى إلى مستويات الإدراك الإنساني كافة . ولو تأملنا آيات القرآن الكريم وتعبيراتها نجد أن لفظ (العالمين) هو عام للإنس والجن ممن عاصروا الرسول صلى الله عليه وسلم ، وممن جاؤوا بعده إلى قيام الساعة . يقول تعالى : (وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ) (يوسف: ١٠٤) ، (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ) (ص: ٨٧) .

(وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ) (القلم: ٥٢) ، (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ) (النكوي: ٢٧) .

لقد تعامل الدين الإسلامي مع الآخر الذي يختلف عنه وقبله وتفاعل معه أخذاً وعطاءاً ، واعتبر هذا الاختلاف من سنن الكون ، واعتبر القرآن الكريم الاختلاف في الجنس واللغة والدين من عوامل التعارف بين البشر ، فالإسلام يتميز بالعالمية ويرتكز الخطاب القرآني على توجيه رسالة عالمية للناس جميعاً . (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) (اي أن الله تعالى يحمد نفسه الكريمة على ما نزل على رسوله صلى الله عليه وسلم من القرآن العظيم ، لينذر به الثقلين : الجن والأنس ويخوفه من بأسه وعذابه وعقابه . وهذا دليل قاطع على عموم الرسالة الإسلامية للناس قاطبة وللجن أيضاً^(٣٧))

كذلك أكد القرآن الكريم في آياته أن خطابه ليس موجهاً للناس فقط ، بل موجه للعالمين الذي هو أعم من الناس ، وكما خاطب القرآن الأنس ، كذلك خاطب الجن وشملهم بخطابه كغيرهم من العالمين قال تعالى : (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ . قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ . يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرَكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ . وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (الاحقاف ٢٩-٣٢) . آيات صريحة وواضحة في أن القرآن نور وهدى لكل العالمين لا للعرب خاصة ، وأن رسالة الإسلام ذات نزعة عالمية ، وأن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم دعوة عالمية لا تتحيز الى فئة معينة ، ولا إلى طائفة خاصة يقول تعالى :

(اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) (البقرة : ١٢٢) .

(وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) (البقرة : ٢٥١) .

(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) (ال عمران : ٣٣) .

(وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (ال عمران : ٩٧) .

(وَجَعَلَكُمْ مِلَّةً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ) (المائدة : ٢٠) .

(قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَأَمِنْ نَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام: ٧١) .

(قُلْ إِنْ صَلَّاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام: ١٦٢) .

(أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (الاعراف: ٥٤) .

(قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (الاعراف: ١٢١) .

وقد فسر القرآن الكريم كلمة (رب العالمين) بأسلوب حوارى وصفي تصويرى وبأسلوب منطقي عندما سأل فرعون (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ) (الشعراء: ٢٣) رد موسى في قوله تعالى : (قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُوزَ مُوقِنِينَ) (الشعراء: ٢٤) .

فالعالمين شملت عالم السماوات وعالم الأرض وما بينهما فهي ليست خاصة بعالم دون آخر .

إن الخطاب القرآني بكل ما فيه من آيات وقوانين وحكم وسنن وفرائض لا يمكن أن ينفع مجتمعا دون آخر ، أو طائفة دون أخرى ، ومهما حاول أعداء الإسلام وخصومه من إثارة الشبهات حول عالمية الإسلام ، والتشكيك في شموله لجميع أفراد البشرية ، تأتي آيات القرآن الكريم لتدحض تلك الشكوك والشبهات ، وتظهر أن القرآن كتاب عالمي ، وليس كتابا يتلى ، بل مبدأ يطبق في واقع الإنسان . يقول الشيخ الغزالي : (فخطاب القرآن عالمي ، ورسالته خاتمة ، وله بعد في الزمان والمكان ، والحاضر والمستقبل ، وله بعد في المكان بحيث يشمل العالم كله) .^(٣٨)

(من هذا المنطلق نستطيع القول إن الخطاب القرآني هو سلطة روحية ربانية توافرت فيه جميع المقومات لتحقيق هدف سام ، وهو الإيمان والتوحيد بالله عز وجل ، وأنه رسالة تبليغية لا يمكن أن تتحيز لمكان محدد ، أو تختص بأمة معينة ، إنه خطاب مهياً للتوصيل ملائم للفطرة الإنسانية مستغرق لكل أجناسها) .^(٣٩) فالخطاب القرآني رسالة ربانية خالدة وأبدية ليست بعدها رسالة وصلاحياتها باقية الى يوم القيامة .

المطلب الثالث :

الأمة

واجه المفسرون في دراسة مفهوم الأمة في القرآن الكريم صعوبة وهي خلو النص القرآني من أي تعريف لمعنى لفظة الأمة، ولذلك لجأوا إلى علاجها عن طريق التأويل ، فظهرت عدة معاني للفظّة الأمة حسب اجتهاد العلماء في التأويل . وقبل أن نتطرق إلى هذه المعاني لابد أن نتعرف على معنى لفظة الأمة في اللغة والاصطلاح . قال ابن فارس : (الهمزة والميم أصل واحد ، ومن معانيها الجماعة والدين . قال تعالى : (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُندُونَ) (الزخرف: ٢٢) ، وكذلك كل من كان على دين حق مخالف لسائر الأديان فهو أمة وكل قوم نسبوا إلى شيء وضيفوا إليه فهم أمة ، وكل جيل من الناس أمة على حدة ، قال تعالى : (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) (البقرة: ٢١٣).^(٤٠)

أما في الاصطلاح : أصل الأمة : الجماعة التي هي على مقصد واحد ، فجعلت الشريعة أمة واحدة ، لاجتماع أهلها على مقصد واحد .^(٤١) وقالوا الأمة : الناس المجتمعون على دين واحد أو في عصر واحد .^(٤٢) يقول محمد رشيد رضا في تفسيره : (والصواب أن الأمة أخص من الجماعة، فهي الجماعة المؤلفة من أفراد لهم رابطة تضمهم ووحدة يكونون بها كالأعضاء في بنية الشخص).^(٤٣) فمفهوم الأمة ينطبق على الإنسانية وعلى كل المخلوقات أو العالم ، وقد وردت لفظة الأمة أكثر من خمسين مرة في القرآن الكريم منها قوله تعالى :

(رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ) (البقرة: ١٢٨) .

(تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ) (البقرة: ١٣٤) .

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ) (البقرة: ١٤٣) .

(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ) (البقرة: ٢١٣) .

(وَلَنَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) (ال عمران: ١٠٤) .

- (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ) (النساء: ٤١) .
(وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً) (الاعراف: ٣٤) .
(وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) (الاعراف: ١٥٩) .
(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً) (هود: ١١٨) .
(وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِبَآئِلِهِ) (يوسف: ٤٥) .

وآيات أخرى كثيرة ومن معاني الأمة التي استنبطها العلماء من آيات القرآن الكريم :

- ١ - أن لفظة الأمة تعني جماعة من الناس على الإطلاق قال تعالى : (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ) (القصص: ٢٣) ، (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) (الاعراف: ١٦٤) . يقول الرازي في تفسير هذه الآية : (وَقَوْلُهُ: أُمَّةٌ مِنْهُمْ أَيُّ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ مِنْ صَلْحَائِهِمُ الَّذِينَ رَكِبُوا الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ فِي مَوْعِظَةِ أُولَئِكَ الصَّيَّادِينَ) .^(٤٤)
- ٢ - لفظة الأمة تعني الإمام الذي يعلم الناس الخير (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (إبراهيم: ١٢٠) ، (أُمَّةٌ: إماما قدوة جامعا لخصال الخير، والأصل في الأمة: الجماعة الكثيرة، وسمي إبراهيم بذلك لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد إلا متفرقة في أشخاص كثيرة) .^(٤٥)
- ٣ - تعني لفظة الأمة الوقت والحين قال تعالى : (وَلَكِنْ أَخْرَنَّا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ) (هود: ٨) . (وَالْأُمَّةُ: حَقِيقَتُهَا الْجَمَاعَةُ الْكَثِيرَةُ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ أَمْرُهُمْ وَاحِدٌ، وَتُطْلَقُ عَلَى الْمُدَّةِ كَأَنَّهُمْ رَاعَوْا أَنَّهَا الْأَمَدُ الَّذِي يَظْهَرُ فِيهِ جِيلٌ فَأُطْلِقَتْ عَلَى مُطْلَقِ الْمُدَّةِ، أَيُّ بَعْدَ مُدَّةٍ) .^(٤٦)
- ٤ - تعني لفظة الأمة الطريقة المتبعة قال تعالى : (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ) (الزخرف: ٢٢) ، وقوله: (وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ) يقول: وإنا على آثار آبائنا فيما كانوا عليه من دينهم مهتدون، يعني: لهم متبعون على منهاجهم) .^(٤٧)

٥ - تعني لفظة الأمة جماعة جزئية من أهل دين معين قال تعالى : (وَلَنَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) (ال عمران : ١٠٤) ، (قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمِّقَدَ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا) (الاعراف : ٣٨) .

٦ - تعني لفظة الأمة الجماعة المتفقة على دين واحد قال تعالى : (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) (هود : ٥٨) ، (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) (النحل : ٩٣) ، (كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثَمَرًا إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ جَعَلْنَا فِتْنَةً لَهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الانعام : ١٠٨) ، (لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ) (الحج : ٦٧) . وهذا هو المعنى الأصلي لكلمة الأمة .

المطلب الرابع : بني آدم

خاطب الله سبحانه وتعالى البشر بصيغ متعددة ليعلم الناس كيف يكون الحوار ، ومن هذه الصيغ صيغة (يا بني آدم) ، حيث ينادي الله سبحانه وتعالى البشر فيقول لهم (يا بني آدم) ليلفت الناس جميعا ، وينتبهوا لندائه ، تذكيرا لهم بأنهم من آدم ، عسى أن تخشع قلوبهم . وهو خطاب تشريف لبني آدم حيث نسبهم إلى من خلقه بيديه ، واسجد له ملائكته ، وكرمه على العالمين ، والله تعالى كرم بني آدم وفضلهم على كثير ممن خلق قال تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَنِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (الاسراء : ٧٠) .

إن خطاب الله سبحانه وتعالى بصيغة يا بني آدم هو خطاب خاص حيث ربط الخطاب ببني آدم وفي هذا حكمة قرآنية وهو ارتباط الخطاب مباشرة بقصة آدم عليه السلام قال تعالى : (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَمِّرُكُمْ سَوَآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) (الاعراف : ٢٦-٢٧) (يقول تعالى محذرا بني آدم من إبليس وقبيله، ومبيناً لهم عداوته القديمة لأبي البشر آدم عليه السلام في سعيه

عالمية الخطاب القرآني
م . م . حنان صبحي سلمان

في إخراجهم من الجنة التي هي دار النعيم، إلى دار التعب والعناء، والتسبب في هتك عورته بعدما كانت مستورة عنه، وما هذا إلا عن عداوة أكيدة (٤٨).

وفي هذه الآيات بيان لبني آدم بوجوب شكر الله على نعمة اللباس وستر العورة ، وفيها تحذير لهم من الشيطان واغوائه لبني آدم .

وكذلك يحث الله سبحانه وتعالى بني آدم وهو نداء عام وخطاب عالمي على التزين عند كل مسجد مع النهي عن الاسراف في الاكل والشرب يقول تعالى : (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (٣١ الأعراف) . إن ما يتميز به القرآن الكريم بأنه كتاب عالمي يخاطب بني آدم جميعا ، ومن عالمية القرآن الكريم عالمية التشريعات الإسلامية والعبادات والأوامر والنواهي ، والتي لا تختص بشعب أو عرق ولا تتصادم مع الفطرة السليمة ولا مع تطورات الحياة . قال تعالى : (يَا بَنِي آدَمَ إِذَا تَبَسَّجْتُمْ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ أَتَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (الأعراف: ٣٥) . وتتجلى هذه العالمية في تكريمها للإنسان يقول تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (الاسراء: ٧٠) .

(فالانتساب إلى أب واحد أو أم واحدة هما آدم وحواء رحم وقربى تجعل من الناس جميعا أسرة واحدة في شبكة واسعة ومن هذا المنطق لابد أن تصاغ العلاقات بين الناس والناس . وتتشعب الأسرة الإنسانية ، وتنساح في أرجاء الأرض فتكون شعوبا وقبائل يتعرف على بعضها البعض دون أي تفرقة أو تمييز) (٤٩) (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات: ١٣) ، (إن اكتساب رسالة الإسلام العالمية يعني أن الله سبحانه وتعالى جعلها للناس كافة ، فهي الأخيرة وليست هناك رسالة أخرى ، ولا رسول آخر فهي خاتمة رسالات الله للعالم كله إلى أن تنتهي هذه الحياة ، ومن ثم تكون عامة شاملة) (٥٠) والله سبحانه وتعالى أخذ ميثاقا عاما من بني آدم في قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ

ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (الاعراف : ١٧٢) . يقول الزحيلي في تفسيره : (والله سبحانه وتعالى أخذ على البشر كافة ميثاقاً يتضمن الاعتراف على أنفسهم أن الله ربهم ، وأنه لا إله إلا الله ، وذلك حين استخرج من بني آدم ذريتهم وسلالتهم ، وخلقهم على فطرة التوحيد والإسلام ، وأشهدهم على أنفسهم ، أي أن الله تعالى جعل الفطرة التي فطروا عليها من الاقرار بالتوحيد حجة مستقلة عليهم)^(٥١) . وهكذا نجد ان عالمية الخطاب القرآني قد تعدت حدود الزمان والمكان ، وان القرآن الكريم قادر على أن يغطي حركة الكون كله ، والذي يتعامل مع القرآن الكريم لابد له من أن يفهم الخطاب القرآني نفسه ، وأن يفهم العالم الذي يقدم له هذا الخطاب ، وفهم القرآن بهذا الشمول يعني فهم رسالة الإسلام كلها .

الخاتمة

وفي نهاية بحثنا في موضوع (عالمية الخطاب القرآني) ، نحمد الله أن وفقنا في تقديمه ، وكانت رحلة ممتعة تستحق التعب والعناء في رحاب القرآن الكريم ، كتاب الله العزيز ، ومعجزة الإسلام الخالدة ، الذي انبثق نوره منذ أربعة عشر قرناً ، حيث كانت البشرية تسبح في ظلام دامس ضاعت فيه كرامة الانسان وحرية ، وفي تلك الظروف جاء القرآن نورا يعيد للإنسان كرامته وحرية . رحلة ارتقت بالفكر والعقل ، تمكنا من خلالها وبفضل الله أولاً وآخراً من أن نسلط الضوء على الجوانب المتعلقة بموضوع البحث ، وعرضنا الافكار الهامة فيه ، فإن وفقنا فمن الله عز وجل، وإن اخفقنا فمن أنفسنا ، وقد تبين لنا من خلال هذا البحث ما يأتي :

- أن رسالة الإسلام رسالة عامة شاملة عالمية ممتدة في الزمان والمكان ، لم تأت لقرن أو جيل أو قوم معينين ، وإنما جاءت للأنس والجن أجمعين .
- إن آيات القرآن الكريم تكمل بعضها بعضاً ، فرسالة القرآن تشمل الأنس والجن أيضاً .
- القرآن الكريم يخاطب الإنسان في كل بقعة من الأرض دون أن يلغي شخصيته أو هويته.

عالمية الخطاب القرآني م . م . حنان صبحي سلمان

- إن عالمية الإسلام ليست في مجال العقيدة فقط ، بل شملت كل جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .
- المقصود من عبارة عالمية الإسلام أن الإسلام دين عالمي لم يختص بالعرب فقط ، ولا بالعجم ، بل هو للبشرية جمعاء .
- البشرية كلها اسرة واحدة تنتمي الى خالق واحد ، وتنتسب إلى أب واحد .
- إن القرآن راعى في خطابه جانب العالمية فكل تشريعاته وعباداته ومعاملاته وأخلاقياته.
- ميز الله تعالى القرآن الكريم بجملة من الخصائص جعلته على الدوام كتاب الله الخالد ، من هذه الخصائص دعوته الناس للتحرر والتوحيد ، والوحدة والمساواة ، والحق والعدل .
- استعمل القرآن الكريم مجموعة من المصطلحات لإيصال خطابه الى الناس كافة منها : مصطلح الناس وهي من أعم الألفاظ وأكثرها استعمالا ، والعالمين والأمة وبنى آدم .
- وصلى الله على سيدنا ومعلمنا محمد صلى الله عليه وسلم وسلم تسليما كثيرا

المصادر والمراجع

١. التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣ هـ) ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤ م .
٢. تحليل الخطاب ، تحليل الخطاب العربي ، حسن حنفي ، تحرير : غسان عبد الخالق ، منشورات جامعة فيلادلفيا ، عمان ، ١٩٩٨ .
٣. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠ م .
٤. تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢ ، ١٩٩٩ م.

٥. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر - دمشق ، ط ٢ ، ١٤١٨ هـ .
٦. جامع البيان في تفسير القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري (ت: ٢١٠ هـ) ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) .
٧. الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وإيامه (صحيح البخاري) ، محمد بن اسماعيل ابو عبد الله البخاري الجعفي ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ .
٨. جمالية الخطاب في النص القرآني ، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية واثبات التكوين د. لطفي فكري محمد الجودي ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط ١ (١٤٣٥ - ٢٠١٤) .
٩. خطاب الناس في القرآن الكريم (قراءة في نوعية المضامين وآفاقها) ، عدنان أجانة ، الرباط ٢٠١٧ ، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث .
١٠. زاد المسير في علم التفسير ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن الجوزي (٥٩٧ هـ) ، المكتب الاسلامي - بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٤ هـ .
١١. السلام روح الاسلام ، د. كرم حلمي فرحات ، الدار الثقافية للنشر ، ط ١ (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م)
١٢. سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن صورة بن موسى بن الضحاك الترمذي ، أبو عيسى (ت: ٢٧٩ هـ) ، تحقيق وتعليق : احمد محمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط ٢ (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م) .
١٣. الطرق الحكمية ، محمد بن ابي بكر بن ايوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١ هـ) ، دار البيان .
١٤. العولمة وعالمية الاسلام ، بلقاسم محمد الغالي ، مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية ، العدد (٤٩) ، يونيو ٢٠٠٢ .
١٥. في هدي القرآن في السياسة والحكم ، أمجد جبرون ، المركز العربي للأبحاث ، ط ١ ، بيروت ٢٠١٨ .

عالمية الخطاب القرآني
م. م. حنان صبحي سلمان

١٦. القرآن الكريم من منظور غربي ، أ. د. عماد الدين خليل ، مكتب التفسير للنشر والاعلان ، اربيل ، ط ١ (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م) .
١٧. القيم الحضارية في القرآن الكريم دراسة موضوعية تحليلية ، فاخر عباس عيسى الداودي ، بغداد ، ديوان الوقف السني ، ٢٠١٤ ، ط ١ . .
١٨. القيم السياسية العالمية في الخطاب القرآني ، مصطفى جابر العلواني ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، الولايات المتحدة الامريكية ، ط ١ (١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م) .
١٩. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن احمد الزمخشري جار الله (ت : ٥٣٨ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٣ (١٤٠٧ هـ) .
٢٠. كيف نتعامل مع القرآن ، محمد الغزالي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٥ م ، ط ٧ .
٢١. لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي ، ابو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعي الافريقي (ت : ٧١١ هـ) ، دار صادر بيروت ، ط ٣ ١٤١٤ هـ .
٢٢. مفاتيح الغيب التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت : ٦٠٦ هـ) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ٣ ، ١٤٢٠ هـ . .
٢٣. المفردات في غريب القرآن ، ابو القاسم الحسين بن محمد المعروف (بالراغب الاصفهاني) (ت : ٥٠٢ هـ) ، تحقيق : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، الدار الشامية - دمشق بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
٢٤. مفتاح دار السعادة ، محمد بن ابي بكر بن ايوب بن سعد ابن القيم الجوزية (٧٥١ هـ) ، دار الكتب العالمية - بيروت .
٢٥. مقاييس اللغة ، احمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ، أبو الحسين (ت : ٣٩٥ هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) .

٢٦. الموافقات ، ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي ابو اسحاق، تحقيق : ابو عبيدة مشهور بن حسن ال سلمان ، دار ابن عفان ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م) .
٢٧. نحو منهجية للتعامل مع مصادر التنظير الاسلامي بين المقدمات والمقومات ، د. منى عبد المنعم ابو الفضل ، مطبوعات المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، القاهرة ، ط ١ (١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م) .
٢٨. النظام السياسي في الاسلام ، د برهان عليون ، د محمد سليم العوا ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ط ١ (١٤٢٤ - ٢٠٠٤) .

الهوامش

- (^١) خطاب الناس في القرآن الكريم (قراءة في نوعية المضامين وآفاقها) ، عدنان أجانة ، الرباط ٢٠١٧ ، مؤمنون بلا حدود للدراسات والابحاث ، ص ٦ .
- (^٢) جمالية الخطاب في النص القرآني ، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وإثبات التكوين ، د . لطفي فكري محمد الجودي ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط١ (١٤٣٥-٢٠١٤) ، ص ٧٢ .
- (^٣) سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن صورة بن موسى بن الضحاك الترمذي ، أبو عيسى (ت: ٢٧٩ هـ) ، تحقيق وتعليق : احمد محمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ط٢ (١٣٩٥ هـ-١٩٧٥ م) ، ج٥ ، ص ٣٨٩ ، حديث غريب .
- (^٤) جمالية الخطاب القرآني ، مصدر سابق ، ص ٧٢ .
- (^٥) القيم الحضارية في القرآن الكريم دراسة موضوعية تحليلية ، فاخر عباس عيسى الداودي ، بغداد ، ديوان الوقف السني ، ٢٠١٤ ، ط ١ ، ص ٩٩-١٠٠ .
- (^٦) القيم السياسية العالمية في الخطاب القرآني ، مصطفى جابر العلواني ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، الولايات المتحدة الامريكية ، ط١ (١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م) ، ص ١٨١ .
- (^٧) القرآن الكريم من منظور غربي ، أ. د. عماد الدين خليل ، مكتب التفسير للنشر والاعلان ، اربيل ، ط ١ (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م) ، ص ٢٩ .
- (^٨) ينظر : خطاب الناس في القرآن الكريم ، مصدر سابق ، ص ١٧ .

عالمية الخطاب القرآني
م . م . حنان صبحي سلمان

- (^٩) ينظر :مقاييس اللغة ، احمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ، ابو الحسن (ت: ٣٩٥هـ) ، تحقيق :عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) ، ج ٤ ، ص ١٠٩-١١١ .
- (^{١٠}) ينظر : لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي ،ابو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعي الافريقي (ت: ٧١١هـ) ، دار صادر بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٤هـ ، ج ١٢ ، ص ٤١٦-٤٢١ .
- (^{١١}) ينظر : العولمة وعالمية الاسلام ، بلقاسم محمد الغالي ، مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية ، العدد (٤٩)، يونيو ٢٠٠٢ ، ص ٤٠٤ .
- (^{١٢}) لسان العرب ، مصدر سابق ، فصل الخاء المعجمة ، ج ١ ، ص ٣٦٠ .
- (^{١٣}) مقاييس اللغة ، مصدر سابق ، باب خطب ، ج ٢ ، ص ١٩٨ .
- (^{١٤}) ينظر : الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ، ابو القاسم محمود بن عمرو بن احمد الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٣ (١٤٠٧هـ) ، ج ٤ ، ص ٣٠ .
- (^{١٥}) ينظر : تحليل الخطاب العربي ، حسن حنفي ، تحرير: غسان عبد الخالق ، منشورات جامعة فيلادلفيا ، عمان ، ١٩٩٨ ، ص ٢٢-٢٥ .
- (^{١٦}) خطاب الناس في القرآن الكريم ، مصدر سابق ، ص ١٦ .
- (^{١٧}) القيم السياسية العالمية في الخطاب القرآني ، مصدر سابق ، ص ٢٢٤ .
- (^{١٨}) ينظر : التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤م ، ج ٤ ، ص ٢١٤ .
- (^{١٩}) ينظر: مفاتيح الغيب التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ٣ ، ١٤٢٠ هـ ، ج ٢٧ ، ص ٥٨٧ .
- (^{٢٠}) النظام السياسي في الاسلام ، د برهان عليون ، د محمد سليم العوا ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ط ١ (١٤٢٤ - ٢٠٠٤) ، ص ٨٨ .
- (^{٢١}) ينظر : المصدر نفسه ، ص ٨٦- ٨٧ .
- (^{٢٢}) ينظر : الطرق الحكمية ، محمد بن ابي بكر بن ايوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١) ، دار البيان ، ص ١٣ .
- (^{٢٣}) ينظر : في هدي القرآن في السياسة والحكم ، أمجد جبرون ، المركز العربي للأبحاث ، ط ١ ، بيروت ٢٠١٨ ، ص ٢٥٥ .

- (٢٤) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري) ، محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط ١ ، ١٤٢٢ ، كتاب احاديث الانبياء ، باب حديث الغار ، ج ٤ ، ص ١٧٥ ، رقم الحديث ٣٤٧٥ .
- (٢٥) المصدر نفسه ، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها ، باب الهبة للولد وإذا أعطى بعض ولده ، ج ٣ ، ص ١٥٧ ، رقم الحديث ٢٥٨٦ .
- (٢٦) لسان العرب ، مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٢٤٥ .
- (٢٧) المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت: ٥٠٢ هـ) ، تحقيق : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، الدار الشامية ، دمشق - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ، ج ١ ، ص ٨٢٩ .
- (٢٨) ينظر : الموافقات ، ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي أبو اسحاق ، تحقيق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن عفان ، ط ١ (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م) ، ج ٣ ، ص ٢٣٦ .
- (٢٩) ينظر : خطاب الناس في القرآن الكريم ، مصدر سابق ، ص ٧ .
- (٣٠) التحرير والتنوير ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٣٢٣ .
- (٣١) خطاب الناس في القرآن الكريم ، مصدر سابق ، ص ١٢ .
- (٣٢) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ) تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط ٢ (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م) ، ج ٧ ، ص ٣٨٥ .
- (٣٣) خطاب الناس في القرآن الكريم ، مصدر سابق ، ص ١٢ .
- (٣٤) نحو منهجية للتعامل مع مصادر التنظير الاسلامي بين المقدمات والمقومات ، د. منى عبد المنعم أبو الفضل ، مطبوعات المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، القاهرة ، ط ١ (١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م) ، ص ٢١ - ٢٢ .
- (٣٥) تفسير الرازي ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢٤ .
- (٣٦) جامع البيان في تفسير القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري (ت: ٢١٠ هـ) ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) ، ج ١ ، ص ١٤٣ .
- (٣٧) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر - دمشق ، ط ٢ ، ١٤١٨ هـ ، ج ١٩ ، ص ٩ .
- (٣٨) كيف نتعامل مع القرآن ، محمد الغزالي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط ٧ ، ٢٠٠٥ م ، ص ٢١٦ .
- (٣٩) جمالية الخطاب في النص القرآني ، مصدر سابق ، ص ١٠٠ .

عالمية الخطاب القرآني
م. م. حنان صبحي سلمان

- (^{٤٠}) ينظر : مقاييس اللغة ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢٦-٢٧ .
- (^{٤١}) زاد المسير في علم التفسير ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن الجوزي (٥٩٧هـ) ، المكتب الاسلامي - بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٤هـ ، ج ١ ، ص ٢٢٩ .
- (^{٤٢}) مفتاح دار السعادة ، محمد بن ابي بكر بن ايوب بن سعد ابن القيم الجوزية (٧٥١هـ) ، دار الكتب العالمية - بيروت ، ج ١ ، ص ١٧٤ .
- (^{٤٣}) تفسير القرآن العظيم (تفسير المنار) ، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموي الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠م ، ج ٤ ، ص ٣٠ .
- (^{٤٤}) تفسير الرازي ، مصدر سابق ، ج ١٥ ، ص ٣٩١ .
- (^{٤٥}) التفسير المنير ، مصدر سابق ، ج ١٤ ، ص ٢٦٠ .
- (^{٤٦}) التحرير والتنوير ، مصدر سابق ، ج ١٢ ، ص ١٠ .
- (^{٤٧}) تفسير الطبري ، مصدر سابق ، ج ٢١ ، ص ٥٨٥ .
- (^{٤٨}) تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٤٠٢ .
- (^{٤٩}) السلام روح الاسلام ، د. كرم حلمي فرحات ، الدار الثقافية للنشر ، ط ١ (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) ، ص ٤٦ .
- (^{٥٠}) المصدر نفسه ، ص ٤٦ .
- (^{٥١}) التفسير المنير ، مصدر سابق ، ج ٩ ، ص ١٥٩ .